الزلال في
بيان أن العصر
ليس من الليال
تأليف
يونس بن صالح بن أحمد بافضل
شبكة
الألوكة
www.alukah.net

الزلال
في بيان أن العصر ليس من الليال

تأليف: يونس بن صالح بافضل
دكتوراه المعهد العالي للقضاء
المملكة العربية السعودية ـ الرياض
إيميل: yons1b@hotmail.com

الطبعة الأولى
1441هـ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

فلا يجوز نشر أي جزء من الكتاب أو تخزينه
أو تسجيله بأي وسيلة أو تصويره أو ترجمته
دون موافقة خطية مسبقة من المؤلف

دار الكاغد للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
الرياض - حي الزهرة
إيميل: yooon2b@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه الذي رفع من وقف تحت أمره ونهيه إلى أوج الكمال، ووصل من انقطع إليه بصلة فاخرة في الحال والمآل، ووفق من اجتهد في الحق للوصول إلى اتباع الحق الزلال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرسل بصحيح الأقوال والأفعال، الذي بلغ حسن حديثه مبلغ الإعجاز والكمال، راقيا من ذرى الفصاحة مرقى لا يجاب ولا يجال ، وفاق به أعلى مراتب البلاغة والتلال، وعلى آله المدرجين في سلسلة هديه التي لا انفصام لها ولا انفصال، وعلى أصحابه الذين بذلوا نفوسهم وأموالهم في مرضاته تعالى من غير ضعف ولا اعتلال، وعلى التابعين لهم السالكين طريقهم بلا قلب ولا اضطراب بل ساروا باعتدال ، بعيداً عن الشواذ والغرائب والمحال... أما بعد.

قال عبد الرحمن بن مهدي :"لا يكون إماماً في العلم من أخذ بالشاذ من العلم ، ولا يكون إماماً في العلم من روى كل ما سمع"[1].

(١) أخرجه: ابن أبي خيثمة في التاريخ الكبير(248/1) برقم:(691)، وابن

إن مهمّة العلماء وطلاب العلم في هذا الزمان كبيرة، وغاية في المسؤولية والأهميّة، إذ لابدّ من نشر هذا الدّين العظيم، على وفق ما بلّغه النّبي ﷺ، وما فهمه الصّحابة رضي الله عنهم، ومن بعدهم من أهل السّلف الصّالح.

وأن الذّهاب إلى نشر الشواذ والغرائب بين المسلمين، هي جناية على هذا الدّين أولاً، ثم جناية على الأمّة الإسلاميّة ثانياً، وذلك ببث الأقوال المغلوطة، والآراء المنبوذة، والتي فيها مخالفة للحقائق الشّرعية، واللغويّة، والعرفيّة.

مما يوهن عند المتلقي من طلاب العلم، فضلاً عن عوام الناس، ركاكة هذا الدين، وضعف أثر العلم الشرعي في النفوس، جرّاء هؤلاء النقلة لشواذ العلم وغريبة، مما يضيع المقصود، ويبدد جماع العلم المنشود.

ونحن في ظل هذا العالم العنكبوتي، الذي ما يفتأ الإنسان من إخراج شيء فيه إلا ويتناقله الآلاف بل الملايين من البشر، ويبقى على الناقل إما غنم نقله، أو غرم قوله.

شاهين في تاريخ أسماء الثقات(ص270) برقم:(1652).

وقد انتشر في هذه الأيام من أيام ولياليِ رمضان المبارك، من عام واحد وأربعين وأربعمئة وألف من الهجرة، مقاطع صوتية ومرئية، لمشايخ ووعاظ من أهل العلم، في بيان تحديد ليلة القدر، وبيان بدايتها ونهايتها.

ولما لهذه المقاطع من معلومات مغلوطة، وغرائب مجلوبة، رأيت أن أبيّن حقيقة هذا الأمر وخاصة في تحديد زمن الليلة، وخاصة لليلة القدر، نقلاً من نصوص الشرع، وكلام أهل العلم من السلف الصالح، ذوي الفهم السوي والعقل العليّ.

وقد سميت هذا المؤلف بـ:"الزّلال في بيان أن العصر ليس من الليال".

سائلاً الله ﷻ أن يرشدنا إلى الحق، ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل ويرزقنا اجتنابه، وأن يبعدنا عن سفاسف الأمور، وأن يوفقنا إلى قبول الحق والإنقياد إلى كل مأمور، مع عدم التكبر عليه، والإصرار على الباطل فيه.

وقد جعلت هذا المؤلف في قسمين:-

١. قسمٌ في بيان حقيقة الإشكال الذي طرحه بعض طلاب العلم، وما استدل به.

٢. قسمٌ في تفنيد هذا القول في المسألة، وذلك من أربعة أوجه:

الوجه الأول: ذكر الآثار والنّصوص الدّالة على تحديد الليلة وخاصة ليلة القدر.

الوجه الثاني: نقل لبعض كلام أهل العلم من السلف الصالح، في تحديد بداية ليلة القدر.

الوجه الثالث: الليلة حقيقة شرعية، ولغويّة، وعرفيّة.

الوجه الرابع: ذكر بعض الأدلة التي يستدل بها على تحديد الليلة.

٣. قسمٌ ذكرت فيه الرد على بما استدل به على قوله من حديث صحيح.

٤. ختمت هذا المؤلف بذكر الأفضل في الذي يفعله المسلم الذي يريد أن يتحرى هذه الليلة العظيمة، في ليالي العشر الأواخر، وبيان ما يخطئ الناس فيه بانشغالهم بالمفضول عن الفاضل، في استغلال هذه الليالي ليوافقوا عظم أجر ليلة القدر.

وفي الختام إني أتوجه بالشكر الجزيل والعظيم إلى الله ﷻ بما أنعم عليّ من نعم لا تحصى، وآلاءٍ لا تعدّ فتنسى، وأسأله أن يجعل أعمالي خالصة لوجهه الكريم، وأن يريني الحق حقاً ويرزقني اتباعه، ويريني الباطل باطلاً ويرزقني اجتنابه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد...

وكتبه خادم العلم

يونس بن صالح بن أحمد بن عبدالله بافضل

غفر الله له ولوالديه ومشايخه وذريته والمسلمين أجمين

ليلة الإربعاء السابع والعشرين من شهر رمضان

سنة إحدى وأربعين بعد الأربعمئة والألف

في مدينة الرياض حرسها الله من كل سوء.

حقيقة الإشكال في تحديد ليلة القدر

يستلزم قبل أن أفنّد مقولة من قال في تحديد زمن ليلة القدر، أن أُورد كلامه الذي وقع فيه الإشكال كما انتشر عبر وسائل التواصل في وقتنا الحاضر، قال عفا الله عنّي وعنه:

"تبدأ هذه الليلة من بعد العصر إلى الفجر؛ لأن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح:"يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ملائكة الليل ينزلون وقت صلاة العصر، فيبقون فيكم إلى صلاة الفجر" الحديث، فبيّن أن الليل يحسب من العصر، تحسب من العصر إلى الفجر وقد بيّن الله لنا نهايتها ولم يبين لنا بدايتها، بيّن النهاية في قوله: ﴿هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[1]، ولم يبيّن لنا البداية، بل بيّنها النبي ﷺ في قوله: عن الملائكة التي تكتب عمل الليل أنها تنزل وقت صلاة العصر فتبقى فينا إلى صلاة الفجر، فعُلم أن ما بين العصر إلى الفجر هو الليل، وأن ليلة القدر من العصر إلى الفجر، فاجتهد كل يوم أن يكون من العصر إلى الفجر وأنت في طاعة لله تلاوة قرآن، ذكر، صدقة، صلة رحم"أ.هـ.

---

(١) سورة القدر، آية رقم:(5).

فقد ذكر هداه الله إلى الحق، أن ليلة القدر تبدأ من بعد صلاة العصر وتنتهي إلى الفجر، واستدل على ذلك بالحديث الذي يتعاقب فيه ملائكة النهار وملائكة الليل كما سبق.

قلت: وقوله: بأن ليلة القدر تبدأ من العصر، باطل من وجوه عدة على ما سيأتي ذكرها، وأن الصّواب الذي عليه أهل العلم، أن ليلة القدر وغيرها من الليالي تبدأ من غروب الشّمس.

تفنيد القول

بأن ليلة القدر تبدأ من العصر

قد تفرّد هذا القائل ـ غفر الله له ـ بالقول: بأن ليلة القدر تبدأ من العصر، حيث لم أطلع فيما بحثت من مصادر أحد قال بذلك.

ويكفي بهذا التفرّد رداً لهذا القول الشاذ الذي يخالف الأثر، والنظر.

فالشاذ من الأقوال هو: "التفرد بقول مخالف للسواد الأعظم من المجتهدين، بلا مستند من سماع أو قياس أو حجة معتبرة"(١).

فالقول الشاذ لا يتّبع حتى وإن خرج من عالم مجتهد، فكيف بغيره، فكل ما خالف الكتاب والسنّة يفنّد وينبذ، قال الذهبي رحمه الله:" لا ريب أن كل مسألة انفرد بها، وقُطع ببطلان قوله فيها، فإنها هدر، وإنما نحكيها للتعجب، وكل مسألة له عضدها نص، وسبقه إليها صاحب أو تابع، فهي من مسائل الخلاف، فلا تهدر"(٢).

---

(١) الشاذ وأثره في الفتيا للمباركي(ص75).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي(107/13)، قوله في خلاف الظاهرية.

وقوله مردودٌ من وجوهٍ عدة:

الوجه الأول:

النصوص الواردة في بيان بداية الليل بغروب الشّمس.

قال الله ﷻ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1].

فقد أمر الله ﷻ بالصّيام والإمساك عن الأكل والشّرب إلى الليل، ومعلوم أن الليل يبدأ من غروب الشّمس، فلو جاء مسلمٌ وأكل بعد صلاة العصر باعتبار أن الليل كما ذكر هذا، كونه يبدأ من العصر؛ لخالف فيه الكتاب، والسنّة، وإجماع

---

(١) سورة البقرة، آية رقم:(187).

الأمة، بل وخالف فيه اللّغة والعرف.

فقد جاء في حديث عاصم بن عمر بن الخطاب ﷺ عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ:"إذا أقبل الليل من ها هنا، وأدبر النهار من ها هنا، وغربت الشّمس فقد أفطر الصائم"(١).

فالنبي ﷺ جعل غروب الشّمس جهة الغرب، علامة على إقبال الليل، والذي يفطر الصائم به حكماً.

وقد أجمعت الأمة على أن الصائم يفطر إذا غربت الشّمس(٢)، قال ابن حزم في مراتب الإجماع:"واتفقوا على أن الأكل... حرام من حين طلوع الشّمس إلى غروبها، واتفقوا على أن كل ذلك حلال من غروب الشّمس"(٣).

والمعنى اللغوي، والعرف السائد متقرر على أن الليل يبدأ بغروب الشّمس.

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه(36/3) برقم:(1954) واللفظ له، ومسلم في صحيحه(772/2) برقم:(51-1100).

(٢) انظر: البناية شرح الهداية للعيني(12/2)، والقوانين الفقهية لابن جزي(ص81)، وتحفة المحتاج للهيتمي(425/1)، والمبدع في شرح المقنع لبرهان الدين ابن مفلح(40/3).

(٣) مراتب الإجماع لابن حزم(ص39).

فعن أبي جعفر عن ابن الأعرابي قديماً قال في صفة الشّمس:

مخبـأةٌ أمـا إذا اللـيلُ جـنّها
فـتخـفى وأمـا بالـنّهار فـتظـهرُ
إذا انشقَ عنها ساطعُ الفجرِ فانجلى
دُجى الليل وانجابَ الحجابُ المستر
وألبس عـرضَ الأرضِ لوناً كـأنه
عـلى الأفـق الشـرقيّ ثـوبٌ معصفر
ولـون كـدرع الزّعـفـران مـشبه
شـعاع يلـوحُ فـهو أزهـرُ أصـفر
إلى أن علت وأبيض عنها اصفرارها
وجـالت كـما جـال المليـح المشهر
ترى الظلّ يطوى حين تعلو وتارةً
تـراهُ إذا مـالتْ إلى الأرض ينشر
وتـدنـف حـتى ما كـان شعاعها
يـبينُ إذا ولـت لمـن يتـصـبرُ

وأفنت قروناً وهي في ذلك لم تزل
تمـوتُ وتحيا كلَّ يومٍ وتنشرُ[1]

فقد وصف الشاعر بداية النهار بانشقاق الفجر، ونهاية النهار بمغيب الشّمس[2].

والله أعلم...

(١) انظر: ديوان المعاني لأبي هلال العسكري(359/1) وقال عن هذه الأبيات:"وهو أحسن وأتم ما قالته العرب فيها" أي: في الشّمس.

(٢) وتفصيل ذلك، أنه ذكر: أن الشّمس وهي تتنقل في وقت النهار، فبدأ ببداية النهار بظهور الشّمس، ثم لما تبلغ مشرق الأرض فينتشر ضوءها في كل مكان، ثم لما تصل إلى كبد السماء، حتى تزول، فيُرى الظل، ثم تصفر اصفراراً مع تقلل شعائها، ثم ما تبرح إلا وقد مالت إلى الغرب، وبه يذهب شعاعها، وينتهي النهار بغيابها إذا ولّت.

الوجه الثاني
ذكر بعض الآثار وأقوال السلف والمفسرين
في أن ليلة القدر تبدأ من غروب الشّمس

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:"إن أبواب الجنان تفتح في أول ليلة من رمضان إلى آخر ليلة، فلا يغلق منها باب، وتغلق أبواب جهنم من أول رمضان إلى آخر ليلة منه، فلا يفتح منها باب، وتغلّ فيه مردة الشياطين لحق رمضان وحرمته، ويبعث الله منادياً ينادي في السماء الدنيا كل ليلة من غروب الشّمس إلى طلوع الفجر، يا باغي الخير هلم، من داع يستجاب له، من سائل يعطى سؤله، من مستغفر يغفر له، من تائب يتب عليه، ولله تعالى عتقاء عند وقت فطر كل ليلة من شهر رمضان، عباد وإماء"[1].

(١) أخرجه عبدالغني المقدسي في الترغيب في الدعاء والحث عليه(ص 70) برقم:(32). وقال:"سنده ضعيف جداً"أ.هـ.

- في قوله تعالى:﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾[1].

عن ابن عباس ﷺ في قوله:﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٍ﴾ قال:"في تلك الليلة تصفد مردة الشياطين ، وتغلّ عفاريت الجنّ ، وتفتح فيها أبواب السّماء كلّها ، ويقبل الله فيها التوبة من كل تائب، قال: فلذلك قال: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ وذلك من غروب الشّمس إلى مطلع الفجر"[2].

وجاء عن كعب الأحبار ﷺ أنه قال:"... فينادي الله جبريل أن ينزل في كل ليلة قدر... فينزلون على جبريل في ليلة القدر حين تغرب الشّمس، فلا تبقى بقعة في ليلة القدر إلا وعليها ملك.."[3].

وقال كعب ومقاتل بن حيان ﷺ:"الروح طائفة من الملائكة، لا تراهم الملائكة إلّا تلك الليلة، ينزلون من لدن

---

(١) سورة القدر، آية رقم:(5).

(٢) أخرجه: المروزي في مختصر قيام الليل(ص250).

(٣) أخرجه: ابن أبي حاتم في تفسيره(3452/10) برقم:(19428)، وابن كثير في تفسيره(452/8) وقال: هذا أثرٌ غريب ونبأ عجيب يتعلق بليلة القدر"أ.هـ. قلت: وهو من مراسيل كعب الأحبار، وفيه: هلال أبوجبلة: مجهول. انظر: العلل المتناهية لابن الجوزي(211/2).

غروب الشّمس إلى طلوع الفجر"[1].

وقال مقاتل بن سليمان رحمه الله:" تنزل الملائكة والروح فيها في تلك الليلة عند غروب الشّمس بإذن ربهم يعني بأمر ربهم من كل أمر"[2].

وقال عامر الشعبي رحمه الله :"هو تسليم الملائكة على أهل المساجد من حين تغيب الشّمس إلى أن يطلع الفجر"[3].

وعن منصور بن زاذان رحمه الله قال: "﴿تنزل الملائكة﴾ من حين تغيب الشّمس إلى أن يطلع الفجر ، يمرون على كل مؤمن يقولون: السلام عليك يا مؤمن"[4].

وعن الحسن رحمه الله في قوله: ﴿سلام﴾ قال: "إذا كان

---

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي(258)، انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي(473/4).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان(771/4).

(٣) أخرجه: القرطبي في الجامع لأحكام القرآن(134/20)، البغوي في معالم التنزيل(491/8)، قال المحقق:" أخرجه البيهقي عنه في شعب الإيمان: 7 / 299 ورجاله ثقات "أ.هـ. انظر: لباب التنزيل في معاني التأويل للخازن(453/4)، فتح القدير للشوكاني(576/5).

(٤) انظر: الدر المنثور للسيوطي(570/8).

ليلة القدر لم تزل الملائكة تخفق بأجنحتها بالسلام من الله والرحمة، من لدن صلاة المغرب إلى طلوع الفجر"[١].

وقال سراج الدين النعماني رحمه الله:" أن ﴿هِيَ﴾ ضمير الملائكة، و ﴿سلامٌ﴾ بمعنى التسليم، أي: الملائكة ذات التَّسليم على المؤمنين ، من مغيب الشّمس حتى مطلع الفجر"[٢].

قال الرازي رحمه الله:"أن ليلة القدر إلى طلوع الفجر، سلامٌ أي: تسلم الملائكة على المطيعين، وذلك لأن الملائكة ينزلون فوجاً فوجاً من ابتداء الليل إلى طلوع الفجر"[٣].

وقال العيني رحمه الله:"هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد ، من حين تغيب الشّمس إلى أن يطلع الفجر"[٤].

وقال ابن سعدي رحمه الله:" ﴿حتى مطلع الفجر﴾ أي:

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) اللباب في علوم الكتاب للنعماني(429/20)، وانظر: روح البيان للخولتي(485/10).

(٣) مفاتيح الغيب للرازي(236/32).

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري(130/11).

مبتدأها من غروب الشّمس، ومنتهاها طلوع الفجر"[1].

وقال الشيخ أبوبكر الجزائري رحمه الله:"سلام هي حتى مطلع الفجر: أي هي سلام من الشر كله، من غروب الشّمس إلى طلوع الفجر"[2].

وقال الشيخ العباد حفظه الله:"والليلة تبدأ بغروب الشّمس"[3].

وبعد سياق هذه الآثار وكلام السلف يتبيّن أن بداية الليلة هي من غروب الشمس، لا من عصر اليوم.

والله أعلم...

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي(ص931).
(٢) أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري(597/5).
(٣) شرح سنن أبي داود للعباد(288/8).

الوجه الثالث

بداية الليلة من غروب الشّمس هي:

حقيقة شرعية، لغوية، عرفية

من المعلوم عند أهل العلم أن الأصل في الألفاظ: الحقيقة الوضعيّة، أي: أن اللفظ الحقيقي هو اللفظ المستعمل في موضوعه الأصلي في اللغة، وأنه لا ينتقل إلى غيره من المسمّيات إلا بدلالة شرعية أو عرفية(١).

والليلة وتحديد بدايتها من الألفاظ التي وضعت على الحقيقة، بجميع دلالات الألفاظ، الشرعية، واللغوية، والعرفية.

فالليلة الشرعية التي يترتب عليها الأحكام الفقهية العملية، هي الليلة: التي تبدأ بغروب الشّمس.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غمّ عليكم فصوموا

---

(١) انظر: اللمع في أصول الفقه للشيرازي(ص 10)، وروضة الناظر لابن قدامة(493/1)، وتخريج الفروع على الأصول للزنجاني(ص 123)، وقواعد الأحكام للعز بن عبدالسلام(121/2).

ثلاثين يوماً"[1].

وعن أم سلمة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال:"إذا رأيتم هلال ذي الحجة، وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره"[2].

دلّت الأحاديث على أن الليلة لا تتبع اليوم الذي قبلها؛ فلذا تعلقت الأحكام بالليلة التي يُرى فيها الهلال، ألا ترى أن النبي ﷺ أمر بالإمساك عن قص الشعر وقلم الأظافر، بمجرد رؤية هلال شهر ذي الحجة، ومن المعلوم أن المسلمين يقيمون التراويح في الليلة الأولى من رمضان، بل علّقت الأحكام من حين رؤية الهلال، ولا يُعلم ذلك إلا بعد غروب الشمس، فقبل الغروب وقت العصر لا يتعلّق به حكم لعدم معرفة دخول الشهر من عدمه.

قال ابن المعتز:

أما ترى الصّبحَ تحت ليلته

كموقدٍ بات ينفخُ الفحما[3].

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه(762/2) برقم:(17-1081).

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحه(1565/3) برقم:(41-1937).

(٣) انظر: المصون في الأدب لأبي هلال العسكري(ص40).

والثابت عند أهل الحساب والفلك، في أن الهلال يولد قبل غروب الشّمس، ويكون علامة على دخول الشهر الجديد في اليوم التالي، وبه تحسب الأزمان، وتكون وولادته هي لليلة الأولى منه؛ ولذا رتبّ الشارع عليها الأحكام.

قال ﷻ:﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾(١)

قال القرطبي رحمه الله:"ودلت الآية أيضاً على أن التاريخ يكون بالليالي دون الأيام؛ لقوله تعالى:﴿ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ﴾، لأن الليالي أوائل الشهور، وبها كانت الصحابة ﷺ تخبر عن الأيام، حتى روي عنها أنها كانت تقول: صمنا خمساً مع رسول الله ﷺ والعجم تخالف في ذلك، فتحسب الأيام؛ لأن معلولها على الشّمس"(٢).

قال ابن العربي رحمه الله:"حساب الشّمس للمنافع، وحساب القمر للمناسك"(٣).

---

(١) سورة الأعراف، آية رقم:(142).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(276/7).

(٣) المصدر السابق.

فبداية الليلة بغروب الشّمس هو المتعارف عليه، والعادة عند الناس، والعادة محكّمة.

وأما في العرف اللغوي فهو لا يختلف عن العُرفين السابقين، بما دلّا عليه، من أن مبدأ الليلة بغروب الشّمس[1].

بل ولم يرد عن أحدٍ من أهل اللغة القول: بأن مبدأ الليلة من بعد العصر، وذلك فيما اطلعت من كتب اللغة والمعاجم[2].

بل إنهم ذكروا أن العصر جزء من النهار، قال قتادة ﷺ

(١) انظر: كتاب الألفاظ لابن السكيت(ص 295)، ولسان العرب لابن منظور(607/11).

(٢) وما جاء عند العرب من إطلاق اسم الليلة على أجزاء من النّهار، أو أن العصر: الليلة، إنما ذلك إما مجازاً، كما هي عادة العرب في إطلاق ذلك، أو باعتبار التغليب كالقمران، أو المقاربة من الليل، وليس أن العصر أو الجزء من النهار هو بداية الليلة، ولذا قال المنذري عن أبي الهيثم:"النهار اسم وهو ضد الليل".

قال شاعرهم: ولن يلبث العصران يومٌ وليلة × إذا طلبا أن يدركا ما تيمّما.

انظر: تهذيب اللغة للأزهري(319/15)، والمحكم المحيط لابن سيده(428/1)، وكنز الكتاب ومنتخب الآداب للبونسي(714/2).

عن العصر:"هي ساعة من ساعات النهار"(١).

وقال ابن سيده رحمه الله:"الليل عقيب النّهار، ومبدؤه من غروب الشّمس... واحدته ليلة والجمع ليالٍ"(٢).

وجاء في الأزمنة والأمكنة:"قال يعقوب: يقال: فعلته أوّل اللّيل وهو من عند غيبوبة الشّمس إلى العتمة"(٣).

وقال الزبيدي رحمه الله:"النّهار هو ضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشّمس، أو من طلوع الشّمس إلى غروبها، وهذا هو الأصل"(٤).

وجاء في المصباح المنير:"الليل معروف والواحدة ليلة، وجمعه الليالي... والليلة من غروب الشّمس إلى طلوع الفجر"(٥).

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري(10/2).
(٢) المحكم المحيط لابن سيدة(396/10).
(٣) الأزمنة والأمكنة للأصفهاني(239).
(٤) تاج العروس للزبيدي(318/14).
(٥) المصباح المنير للفيومي(561/2).

الوجه الرابع
ذكر بعض الأدلة التي يُستدل بها
على أن ليلة القدر تبدأ بمغيب الشّمس.

- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:"من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"(١).

فالنبي ﷺ رتب الأجر في ليلة القدر على القيام؛ ومعلوم أن موضع القيام يكون في الليل، فكيف يكون مبتدأها من العصر، حيث لا تصح صلاة الليل في النهار.

مع حث النبي ﷺ باستغلال ليلة القدر كاملة بالصلاة، فكيف يصح أن يقوم في العصر، وبذلك يتضح أن مبدأ ليلة القدر من غروب الشّمس.

- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال :"أن رسول الله ﷺ كان يعتكف في العشر الأوسط من رمضان، فاعتكف عاماً،

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه(26/3) برقم:(1901).

حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين، وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه، قال: من كان اعتكف معي، فليعتكف العشر الأواخر، وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين من صبيحتها، فالتمسوها في العشر الأواخر، والتمسوها في كل وتر . فمطرت السماء تلك الليلة وكان المسجد على عريش، فوكف المسجد، فبصرت عيناي رسول الله ﷺ على جبهته أثر الماء والطين، من صبح إحدى وعشرين"[1].

فقد دلّ فعل النبي ﷺ في دخوله المعتكف وخروجه، على أن ابتداء الليلة من مغيب الشّمس؛ وذلك أنه لما اعتكف العشر الأوسط خرج يوم عشرين، وهي ليلة إحدى وعشرين، إعلاماً منه بانتهاء العشر الأوسط بانتهاء يومها إلى نهاية العصر، فالليلة تابعة لليوم التالي.

ولما حثهم على البقاء في المعتكف للعشر الأواخر، وكان بدايتها ليلة إحدى وعشرين، وقال ﷺ:"وقد رأيتني أسجد صبيحتها في ماء وطين".

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه(48/3) برقم:(2027).

وقد جاء عند فقهاء المذاهب أن المعتكف إذا أراد الاعتكاف ليومٍ ما، فإنه يدخل معتكفه الليل السابق له، قال مالك رحمه الله:"يدخل المعتكف المكان الذي يريد أن يعتكف فيه، قبل غروب الشّمس من الليلة التي يريد أن يعتكف فيها. حتى يستقبل باعتكافه أول الليلة التي يريد أن يعتكف فيها"[1].

(١) موطأ الإمام مالك(451/3) برقم:(1116).

رد الاستدلال بأن الليلة تبدأ من العصر

- لقد استدل صاحب المقولة: بأن ليلة القدر تبدأ من العصر إلى طلوع الفجر، بحديث صحيح في أصله، لكنه أبعد النجعة في الاستنباط والاستدلال به.

- واستدل أيضاً بقوله:"وقد بيّن الله لنا نهايتها ولم يبين لنا بدايتها، بيّن النهاية في قوله: ﴿هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[1]، ولم يبيّن لنا البداية، بل بيّنها النبي ﷺ في قوله: عن الملائكة..."أ.هـ[2].

قلت: فالحديث المذكور هو: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر، وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بكم، فيقول: كيف

---

(١) سورة القدر، آية رقم:(5).

(٢) مقتطع من كلام صاحب المقولة، انظر صفحة:(2) من هذا المؤلف.

تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون"[1]. على روايات وألفاظ كثيرة.

أولاً: الحديث في الصحيح، لكن ليس في الحديث دلالة على بيان ابتداء الليلة وانتهائها، وإنما فيه دلالة على زمن تعاقب الملائكة على العباد، وأنهم يجتمعون في صلاتي الفجر والعصر، فملائكة الليل ترفع أعمال الليل بعد الفجر، وملائكة النهار ترفع أعمال النهار بعد العصر.

ومن هنا استدل بعضهم على جواز تأخير صلاة العصر إلى قبل الغروب؛ لأن الملائكة ترفع الأعمال بعد صلاة العصر الذي يمتد وقتها إلى ما قبل الغروب، يدل عليه حديث أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺقال:"من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشّمس، فقد أدرك الصبح، ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشّمس، فقد أدرك العصر "[2]، وبذلك ليس فيه دليل على أن ابتداء الليلة من العصر[3].

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه(126/9) برقم:(7429).
(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه(120/1) برقم:(579).
(٣) انظر: التمهيد لابن عبد البر(50/19)، وفتح الباري لابن حجر(34/2).

وقد ذكر أهل العلم أن الحكمة في اجتماع الملائكة في هاتين الصلاتين؛ وذلك لتكون شهادتهم للعباد في أحسن هيئة، وهم على أفضل عبادة، وهذا من لطف الله ﷻ وإكرامه لعباده المتقين، مع إظهار فضلهم أمام ملائكته عليهم السلام(١).

ثانياً: على حسب ما اطلعت عليه، فإنه لم يُذكر عن أحدٍ من أهل العلم من استدل بهذا الحديث، بأنه يدل على أن الليلة تبدأ من بعد العصر، لا في ليلة القدر ولا في غيرها(٢).

---

(١) انظر: كشف المشكل لابن الجوزي(427/3).

(٢) إلا ما جاء عن الشاه الكشميري في كتابه فيض الباري على صحيح البخاري(156/2)، وهو يجيب عن سؤال افتراضي: في أنه لما لا يكون التعاقب في المغرب بدلاً من العصر؟ حيث قال:" فإنْ قلتَ: إنَّه ينبغي التعاقب في المغرب مكان العصر، فإنَّ الطَّرَف الآخر من النَّهارِ، وهو المغرب. قلتُ: وهذه اعتباراتٌ، فعدُّ المغرب ههنا من الليل، والعصر من الطرف الآخر، باعتبارِ أَنَّ النَّهار الشرعي يبتدأُ من طلوع الفجرِ، لا من طلوع الشّمس، وينتهي بالعصر لا بالغروبِ، على خلافِ النَّهارِ العُرفي، والصَّلاةُ بعدها مكروهةٌ، فينسد الدفتر فينبغي أَنْ تعتبَر العصرُ آخرًا بهذا الاعتبار أيضًا"أ.هـ. =

بل عدّ ابن حجر وغيره أن العصر جزء من النهار، حيث قال:"ولا مانع أيضاً من أن تصعد ملائكة النهار وبعض النهار باقٍ، وتقيم ملائكة الليل، ولا يرد على ذلك وصفهم بالمبيت بقوله:"باتوا فيكم"؛ لأن اسم المبيت صادق عليهم، ولو تقدمت إقامتهم بالليل إقامتهم قطعة من النهار"[1]، الذي هو بعد العصر.

= قلت: وكلامه لا يستقيم في قوله:"النهار الشرعي"؛ إلا ما كان يقصد في أحكام الصلاة، فإن الصلاة النهارية تنتهي بالعصر لا بالغروب؛ ولذا جاء النهي عن الصلاة بعد العصر، مع ضعف في هذا الاعتبار، بدليل قول الكشميري فيما بعد ذلك وتقريره: أن اجتماع الملائكة في العصر ليس لكون العصر من طرف النهار، بل لفضيلة صلاة العصر في نفسها.

فقال:"قلتُ: ولي ههنا إشكالٌ آخر في عبارة البخاري وهو أَنَّه لِمَ خَصَّصَ الحديث المذكور بترجمةِ فَضْل العصر مَعَ اشتمالِهِ على فَضْل الفجر أيضًا، ثُمَّ إذا بَوَّبَ على فَضْل الفجر لَمْ يُخْرِجه هناك، وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ فلعلَّه حَمَلَهُ على فَضْل العصر فقط، لأَنَّ حُضُورَهم في الفجر يُمْكِنُ أَنْ يكون مَحْمُولاً على كونِها طرفًا من النَّهار بخلاف العصرِ، فإِنَّ الحضور فيها لِفَضْلِها في نَفْسِها لا لكونها طرفًا من النَّهار، فإِنَّ طرفه في الحس هو المغرب، فلو حضروا من أجل كونِها طرفًا لحضروا في المغرب دون العصر"أ.هـ.

قلت: فلم يكن في كلامه دليلاً على أن الليلة تبدأ من العصر.

(١) فتح الباري لابن حجر(35/2).

ثالثاً: وهي من اللطائف:-

ذكر صاحب المقولة:"أن الله ﷻ قد بيّن لنا نهاية ليلة القدر، ولم يبيّن لنا بدايتها".

قلت: ولعل في ذلك دليلٌ على معرفة بداية الليلة بغروب الشّمس، حيث لم يقع خلاف عند العلماء، بل ولا عند العرب وأهل اللغة في معرفة بداية الليلة، وذلك كونها تبدأ بغروب الشّمس.

وإنما وقع الخلاف في بداية النهار وهو اليوم، الذي به تنتهي الليلة، فقيل: بطلوع الشّمس، وقيل: بطلوع الفجر، وهو ما نصّت عليه الآية، وبه تتعلق الأحكام الشرعية؛ فلذا بيّن الله ﷻ لنا نهاية الليلة بطلوع الفجر رفعاً للخلاف. فليُفهم[1].

(١) انظر: مجالس ثعلب لأبي العباس المشهور بثعلب(ص 3)، وصبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي(366/2).

ما يفعله المسلم في تحريه لليلة القدر

وختاماً مما ينبغي التنبيه عليه، أن على المؤمن أن يتحرى هذه الليلة المباركة، ليلة القدر وأن يكثر فيها من العبادات التي قصدها النبي ﷺ في قوله:" من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه "[1] الحديث، فالعمل في هذه الليلة عمل خاص، وهو المذكور في الحديث، فهو قيامها للصلاة وتلاوة القرآن والدعاء فيها لا مطلق العمل.

وما يقع من استحسانٍ من البعض، الإكثار من الأعمال الصالحة المتنوعة في ليلة القدر، غلط في فهم المراد الشرعي من الحديث، فإن من يؤقت لليالي العشر لأجل أن يقوم بعمل صالح في ليلة القدر ليصيب عِظَم الأجر في غير عبادة القيام والدعاء وتلاوة القرآن، فقد ترك الفاضل إلى المفضول، بل ترك مقصود الشارع في اغتنام هذه الليلة المباركة.

---

(١) سبق تخريجه.

فيقوم البعض بالاستكثار من الصدقة وإطعام الجائع، وإبرار الوالد، والإحسان للغير، فهذا كله غير مراد فاضلاً بالعمل فيها.

وإنما مقصود الشارع في تحري هذه الليلة بالعمل الفاضل؛ ليصيب به في تلك الليالي إصابة ليلة القدر، أن يكون قائماً مصلّياً، و تالياً متدبراً، ورافعاً يداً مبتهلاً، فهو الموافق للمأمور شرعاً، لا من ترك الصلاة والتلاوة والدعاء، واشتغل بغير ذلك من العبادات، فإنه أمر حادث لا يُعرف عن السلف رحمهم الله.

دلّ ذلك على فعل النبي ﷺ، وفعل صحابته ﷺ، وفعل التابعين لهم بإحسان إلى يومنا هذا.

فالنبي ﷺ كان يعتكف هذه الليالي، ليوافق ليلة القدر، ومعلوم أن المعتكف، يكون شغله بالعبادة بين صلاة، وتلاوة، ودعاء.

بل ولما سألته عائشة رضي الله عنها عن ليلة القدر إذا وافقتها، دلّها على الدعاء دون غيره من العبادات، قالت:"قلت: يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو

فاعف عني"[1].

وقد جاءت الأحاديث أن جبريل ﷺ، كان يأتي النبي ﷺ في ليالي رمضان يتدارس معه القرآن، فلم يكن ينشغل النبي ﷺ في هذه الليلة خاصة إلا بالقرآن، فإذا أصبح انشغل بغير ذلك من العبادات، فإنه في صبيحة تلك الليلة أجود بالخير من الريح المرسلة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة"[2].

وفي رواية: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله ﷺ يعرض الكتاب على جبريل في كل رمضان، فإذا أصبح رسول الله ﷺ من الليلة التي يعرض فيها ما يعرض ، أصبح وهو أجود

---

(١) أخرجه: الترمذي في سننه(416/5) برقم:(3513) واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح. وأحمد في مسنده(236/42) برقم:(25384)، والنسائي في السنن(146/7) برقم:(7665). والحديث صحيح.

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه(8/1) برقم:(6).

من الريح المرسلة لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه"[1].

فلذا حريّ بمن يريد أن يظفر بهذه الليلة وبفضلها العظيم أن يشتغل في هذه الليالي الأواخر بالقيام، والتلاوة، والدعاء.

أكرمني الله وإياكم، وكل من قرأ هذا المؤلف، أو سمعه أن يبلغه هذا الفضل العظيم، بقيام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، بل وأن يتقبل منه صيام وقيام هذا الشهر العظيم.

سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد...

تم ولله الحمد.
ليلة السابع والعشرين من رمضان
عام إحدى وأربعين وأربعمئة وألف للهجرة.

---

(١) أخرجه: ابن أبي شيبة في مصنفه(329/6) برقم:(31811)، وأحمد في مسنده(498/2) برقم:(2042)، والبيهقي في شعب الإيمان(520/3) برقم:(2052)، وصححه محققوا مسند الإمام أحمد الشيخ أحمد شاكر، والشيخ شعيب الأرنؤط في مجموعة.

فهرس

الموضوع	رقم الصفحة
الاستهلال	3
حقيقة الإشكال في تحديد ليلة القدر	8
تفنيد القول بأن ليلة القدر تبدأ من العصر	10
النصوص الورادة في بيان بداية الليلة	11
ذكر بعض الآثار وأقوال السلف والمفسرين أن ليلة القدر تبدأ من غروب الشمس	15
بداية الليلة بغروب الشمس حقيقة شرعية ولغوية وعرفية	20
ذكر بعض الأدلة التي يستدل بها على أن ليلة القدر تبدأ بمغيب الشمس	25
رد الاستدلال بأن الليلة تبدأ من العصر	28
ما يفعله المسلم تحريه لليلة القدر	33